تلخيص كتاب

الأدلة الجلية على صدق خير البرية

ﷺ

تأليف: عبد المحسن المطيري

تلخيص: وليد بن بريهوم

الأدلة الجلية على صدق خير البرية

لقد حوى هذا الكتاب بين دفتيه تجميعا لبعض أدلة صدق النبي ﷺ العقلية، وقد أخذت من سيرته العطرة متضمنة لأقواله وأفعاله وما يوحي بلا ريب أو شك بصدقه، كما تم إيراد بعض أقوال وشهادات الناس سواء كانوا أعداء له أم من اتباعه، وفيه رد على من أنكر بعض معجزات النبي ﷺ وتأثر بمن يشيع ذلك.

من الدلائل التي أوردت كعلامة على صدق نبوة النبي ﷺ هي إثبات أن القرآن ليس منه وإنما من الله عز وجل، وفي هذا بيان واضح على صدقه، وهذه النقطة سنفرد لها مبحثا مستقلا لإثبات أن القرآن وحي من السماء وليس من صنع بشر.

المبحث الأول: الأدلة على صدق الرسول ﷺ

إن المتتبع للسيرة النبوية والمتعمق في دلائلها يجد بوضوح – بحيث لا يخفى على المنصف اللبيب– براهين شتى قد تناثرت في كل ربوعها، وتنوعت بين كونها شهادات أناس سواء كانوا أتباعا أو حتى مخالفين، وكونها إثباتات أيد الله بها نبيه الكريم، وأخرى قد استنبطت من شخصه ﷺ بما لا يدع مجالا للشك في كونه نبيا مرسلا من ربه.

من أقوى الأدلة على صدق شخص في ادِّعائه، هي إقرار المخالف له المتربص المتصيد لأخطائه بصدق ما جاء به، وشهادة المخالفين للإسلام ، كما أن المواقف التي تحصل لمن يدخل في دين الإسلام على كثرتها وتنوعها أكبر دليل على صدق نبوة مُحَمَّد ﷺ، كمن كان له علم من الكتب السابقة، أو عرف شيئا من محاسن الإسلام وجمال هذا الدين، أو ذهل عند سماعه للقرآن، او أخذت سيرة المصطفى ﷺ بمجامع قلبه أو سمع بأمر أو تنبه لشيء حمله على الإسلام .

تعد المعجزات والآيات التي يؤيد بها الله رسوله حجة قاطعة على صدق نبوته، كالمعجزات التي يجريها بين يديه، لأن خوارق العادات ومخالفة قوانين الطبيعة لا يكون أبدا من مخلوق بل من قبل الخالق جلّ شأنه، والله سبحانه وتعالى لا يخرق العادة لكاذب، إنما يؤيد بها رسله للتدليل على صدق دعوتهم، ومن ذلك أيضا، إخباره بالغيب سواء كان غيبا لاحقا أو سابقا أو مستقبلا، ومن هذا التأييد حمايته من كل ما يُكاد به، ونجاته من كل محاولات الاغتيال، كما أنه سبحانه وتعالى قد أقر لدعوة النبي ﷺ فقد أخبر أن مُحَمَّدا لو تقوَّل على ربه شيئا من الأقاويل لأهلكه، والنبي ﷺ ما خاب بل أفلح وهُدي للحق في كل مجال.

لقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس خلقا وكان خلقه القرآن، إذ كان صلوات الله وسلامه عليه، متواضعا حيِيًّا، حليما كريما، رحيما، طيِّب المعشر، صادقا، يظهر أثر صدقه على قسمات وجهه وعلى تعامله، وقد كانت هذه الخصال الحميدة والأخلاق العالية، من أكثر البراهين على صدق نبوءته، فهو – صلوات الله وسلامه عليه، ، لم يرد لنفسه نفعا شخصيا من وراء الدعوة، ولم يستغل فرص التعالي لإقامة صرح أمجاد شخصي على خلاف أصحاب المذاهب الباطلة والدجالين والمخادعين الذي يرمون لنيل المناصب العالية والمال الوفير والنساء، فقد كان عليه الصلاة والسلام أزهد الناس في الدنيا وزخرفها وأكثرهم إعراضا عنها.

مما يدل أيضا على صدق دعوة النبي ﷺ، بشارة الكتب السابقة له، و ذكر أوصافه، وأوصاف وأتباعه وأسمائهم أيضا، حتى أصبح الواحد منهم يعرفه كما يعرف أبناءه، كما أن المؤيّد من ربه مُستجاب الدعاء، وهكذا كان خاتم المرسلين، لا يطلب شيئا إلا تحقق له ما طلب، وكان أيضا لا يخشى المكائد وتجده قوي العزم صلبا عند المواجهة لا يفتر، يجيب على أسئلة المشككين دون وجل، ويدعو أعدائه دوما إلى المباهلة والملاعنة على من خالفه، غير خائف أو وجل من أن يحيق به شيء.

شريعة الإسلام التي جاء بها النبي ﷺ شريعة محكمة متكاملة نزلت من لدن حكيم عليم بعباده وما يصلح لهم، فهي شريعة تسد كل حاجات الإنسان في شتى مجالات الحياة على اختلافها وتنوعها، تسير معه في كل نواحي حياته من ولادته إلى موته ترعاه وتحصنه وتيسر دربه وتنظم كل شؤونه وتهديه، فهي شريعة كاملة فيها من اليسر واللين والموافقة للعقل ما تجعل كل متبع بها سعيدا فخورا، ومن المرونة ما تجعلها صالحةً لكل زمان ومكان وأمة، ولا تميز بين الناس في الأحكام.

المبحث الثاني: إثبات أن القرآن ليس من عند النبي مُحَمَّد ﷺ

لقد جهد أعداء الإسلام والمستشرقون في التشكيك بصحة نبوة مُحَمَّد ﷺ، ونسب القرآن الكريم له وأنه من تأليفه، ومدار أقوال الطاعنين في الوحي أن هذا القرآن إنما هو:

- إلهام سمعي
- تأثير انفعالات عاطفية
- لأسباب طبيعية عادية كباعثة النوم (التنويم الذاتي(
- تجربة ذهنية فكرية
- حالة كحال الكهنة والمنجمين
- حالة صرع وهيستيريا
- ينتمي إلى ثقافة البشر

الرّد على تلك الدعاوي:

- القرآن الكريم فيه من الإعجاز مالا يمكن لبشر أن يأتي بمثله، واشتماله على البلاغة والفصاحة والبيان والغيبيات ما يدل على أنه من عند الله تعالى وليس من صنع بشر، وبين دفتي المصحف، تصريح على أن النبي ﷺ إنما هو مبلغ عن ربه ولا صنعة له فيه، فهو من عند الله إجمالا وتفصيلا حروفا ومعاني.
- لو كان القرآن من عند مُحَمَّد ﷺ لاستطاع العرب أن يأتوا بمثله مع حرصهم الشديد على معارضته.
- تبرؤه ﷺ من نسبة القرآن إليه ليس ادعاء يحتاج بينة، وإنما هو إقرار يؤخذ به صاحبه.
- مخالفة القرآن في عدة مواضع منه للنبي ﷺ ولرأيه وطبعه الخاص، ومعاتبته في مواضع أخرى.
- موقف الرسول ﷺ من القرآن هو موقف مفسر يلتمس الدلالات ويأخذ بأرفق احتمالاتها.

- نسبة مُحَمَّد ﷺ القرآن لله عز وجل ليس احتيالا منه لبسط نفوذه، وإلا كان سينسب كل أقواله له في المقام الأول، لكنه لم يفعل.
- لو كان القرآن صنيع مُحَمَّد ﷺ لسارع إلى افتراء الكذب عند الحاجة الماسة إليه، ولكننا نرى في سيرته العطرة أنه كانت تمر عليه الأيام والليالي ولا يجد في شأن تلك الحوادث قرآنا يتلوه، وفي هذا دلالة على كون القرآن وحيا من السماء.
- توقف الرسول ﷺ أحيانا في فهم مغزى النص حتى يأتيه البيان، فأي عاقل توحي إليه نفسه بكلام لا يفهم هو معناه؟ أو تأمره أمرا لا يعقل هو حكمته؟
- إخبار القرآن نبيه بأمور تحصل بعد موته، وبعلوم، لم تكن في عصره، فقد تستطيع خداع كل الناس بعض الوقت، وقد تستطيع بعض الناس كل الوقت، لكن لا يمكنك أن تخدع كل الناس كل الوقت.
- منهجه في كيفية تلقي النص أول عهده بالوحي، إذ كان يتلقاه متعجلا محركا به لسانه قصد حفظه، وهذا خلاف ما كان من عادته في تحضير كلامه قبل النبوة وبعدها، ولا من عادة العرب، إلى كان القرآن منبجسا من عند نفسه لجاء على سنة كلامه وكلامهم.
- قيام شاهد من الطبيعة بعجز الإنسان المادي على أن أداء عمل، كاف بتربئته منه، فطبيعة المعاني القرآنية التي جاء بها مُحَمَّد ﷺ يستحيل أن تأتي بمحض التفكير الصادق والتأملات العقلية والفطرة السليمة، من ذلك أخبار الماضي والأمم السابقة، والحقائق العلمية، والأمور الغيبية.
- لم يستبعد المستشرقون إمكانية إنزال الوحي على رسول الله ﷺ عن طريق جبريل رغم أنهم يؤمنون بأبعد من ذلك بتلقي موسى عليه السلام الوحي مباشرة من غير واسطة.
- تناقض المستشرقين العجيب، بوصفهم للنبي ﷺ بالعبقري والملهم والفنان استطاع بذكائه الشديد صنع هذا الدين والقرآن، وتارة يصفونه بالمجنون والمصروع والمهووس، فأوقعهم إعراضهم عن الحق في المضحكات.
- لم يكن للنبي ﷺ اختيار في وقت نزول الوحي عليه، فكان يأتيه في أوقات متنوعة، وقد يكثر عليه حتى تصيبه الحمى ويشعر بكثرته عليه، وقد يفتر حتى يشتاق إليه وقد يمرض إذا تأخر، وهذا من أوضح الأدلة على أن القرآن ليس من عنده.

ملحق: الرَّد على من أنكر معجزة انشقاق القمر

بعض الطاعنين أنكر صحة معجزات النبي ﷺ وأنه لا يقبلها عقل، ومن المؤسف أن أكثر المعاصرين على هذا، وأكثر ما صبوا اهتمامهم على إنكاره، هي معجزة انشقاق القمر، رغم أن فيها آية صريحة تخبر عن ذلك، واعتمدوا في إنكارهم على الشبهات التالية، حيث سنذكر معها الرد المناسب بحول الله تعالى:

- **إنكار تواتر السند،** إذ لو وقعت تلك الحادثة فعلا لتوفرت الدواعي لنقل هذا الخبر بالتواتر عند جميع الناس والأمم لشدة غرابته.
  - حديث انشقاق القمر رواه جمع غفير من الصحابة وتلقاه عنهم التابعون، ثم نقله الجمع الغفير إلى أن تواتر إلينا وتأيَّد بالآية الكريمة، ونص على تواتره جهابذة الحديث وأمراؤه في العصر القديم والحديث كابن كثير والكتاني وابن عياض وابن حجر والقرطبي وابن عبد البر والمناوي، رحمة الله عليه أجمعين.
- **التشكيك في صحة السند،** فالذي صح عند الشيخين هو مسند على شرطهما وهو خبر عن رؤية وهو عبد الله بن مسعود ، وإحدى الروايات مرسلة، وما انفرد به مسلم، فابن عمر لم يصرح أنه رأى، وما رواه الترمذي فضعيف.
  - محاولات تضعيف السند محاولات بائسة، فيكفي لصحته اتفاق البخاري ومسلم على تخريجه في صحيحيهما عن طريق ثلاثة من الصحابة، واتفقت الأمة على تلقي صحيحي الشيخين بالقبول.
  - يعمل بمراسيل الصحابة ويحتج بها ، وليس هناك خلاف بين المحدثين في ذلك
  - لو سلمنا بعدم قبول مراسيل الصحابة، ففقد رواه جمْع من الصحابة مشاهدة، وليس بمرسل في حقهم، كابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وعلي وحذيفة ﷺ أجمعين.
- لم يسلم إلا حديث ابن مسعود عندهم من حيث السند، **فطعنوا في متنه،** فاختلفت الروايات في مكان تواجدهم عند انشقاق القمر(مرة في مكة ومرة في منى) كما أن هناك اختلاف كبير في الروايات في سرد طبيعة الانشقاق وكيفيته وطريقته، وفي الأدلة المتعارضة قاعدة : تعادلا فسقطا.
  - لا تعارض بين قوله بمكة وبمنى، فإن منى من مكة، ومن كان بمنى فهو موجود بمكة، كما أنه يحتمل أن قوله بمكة يراد به قبل الهجرة.
  - نظر الإنسان يختلف حسب الزاوية التي ينظر منها، وبالتالي تختلف أوجه رؤية شق القمر، والأمكنة التي تكون فلقات القمر فوقها.
- لا يصدق خبر حدوث تغير في سنة الله الكونية الفائقة الإبداع والإتقان والنظام إلا بخبر قطعي ثابت.
  - قد وجد نقل قطعي بهذه الحادثة، فالحديث منقول في أصح الكتب، ونص العلماء على تواتره، وأجمعوا على وقوعه، بل ذكره حتى الكفار في كتبهم ممن عاصروا الحادثة، كنُقول سكان الهند والصين، وشهادة علماء الفضاء في العصر الحديث بحصول انشقاق القمر فعلا.
  - لو سلمنا بعدم وجود نقل غير المسلمين لهذه الحادثة، فيمكن رد هذه الشبهة بقول ان عدم وجود النقل بسبب اختلاف مطالع القمر وأنه لم يستمر لمدة طويلة بل للحظات ثم رجع، فلم يره إلا من استعد له ورصده، وكان من أهل الأسفار والترحال الذين يستعينون بضوء القمر، وغاب عن أهل الحضر الذين يكونون غالبا نياما أو محجوبون عن رؤيته داخل منازلهم.

- لو صح أن المشركين طالبو النبي ﷺ بمعجزة انشقاق القمر فأجابهم إلى طلبهم لعذبهم، ولكن لم ينقل لنا أحد أنه تم تعذيبهم بذلك التكذيب (سنة الله في خلقه بتعذيبهم إذا كذبوا عند إظهار لهم معجزات كونية كحال الأمم السابقة لذا لم يظهر لهم شيئا من ذلك)

•الجواب على ذلك بالمنع والتسليم والإجماع والعقل:

- **أولا:المنع:** منع أن هذه الآية جاءت بعد سؤال المشركين، ولو سلّمنا أنه بعد سؤالهم، فنمنع أنه لم يأتهم العذاب، فقد أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا الميتات، وبُطش بهم يوم بدر، وعذبوا يوم الأحزاب بالريح الباردة، وهزموا أيضا يوم الفتح وجُرِّدوا من ملكهم لمكة ، فكل ذلك من العذاب
- **ثانيا:التسليم:** لو سلمنا أنهم لم يعذبوا فتعليل ذلك من ستة أوجه:
  - علة ذلك هي وجود النبي ﷺ بين أظهرهم.
  - الذين سألوا هذه الآية ليس كل أهل مكة، فعددهم كان قليلا ، ولَم يكونوا مجتمعين في صعيد واحد كما حدث مع موسى عليه السلام، بل هي حادثة عابرة.
  - تخلف العذاب لأن أمة النبي ﷺ هي آخر الأمم، وهو خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، فاو أهلكها لذهبت كثير من السنن الكونية، كسنة الاختلاف وسنة المدافعة
  - من الأسباب، أن النبي ﷺ دعا ربه أن لا يهلك أمته بسَنة عامة
  - تختلف هذه الآية عن آيات الأمم السابقة، بل هي آية عارضة سؤل عنها النبي ﷺ من قبل بعض أهل مكة، فدعا ربه أن يحقق لهم هذه الآية لشدة حرصه على هداية قومه، فاستجاب الله تعالى له، وحقق مراده لأجله وليس لأجل قومه. (تكذيب كفار قريش بالآيات الكونية والشرعية، يترتب عليها أن آية القمر لن تؤثر فيهم، ولكن استجاب لنبيه حتى يعرف هذه الحقيقة وينتقل من علم اليقين إلى حق اليقين، ولهذا لم يسأل ربه آية أخرى)
  - هذت الآية لم تكن مشروطة بالعذاب كما حصل مع قوم عيسى لما سألوه أن ينزل مائدة من السماء .
- **ثالثا: الإجماع:** فقد اتفق علماء المسلمين في كل العصور وأجمعوا على وقوع حادثة انشقاق القمر.
- **رابعا: العقل:** إن منكر معجزة انشقاق القمر أحد رجلين:
  - من كان يُؤْمِن بمبدأ المعجزات لكنه ينكر معجزة انشقاق القمر، فنقول أنه لا يحق لك أن تتخير منها ما تشاء وترد ما تشاء، مادام أنه قد ثبت النقل في صحة وقوعها.
  - إن كان يرفض مبدأ المعجزة بالكلية، فبهذا الرفض تكون قد أنكرت نبوة جميع المرسلين الذي أيدهم الله بالآيات وخوارق العادات لإثبات صدق قولهم ورسالتهم وانقياد أقوامهم لهم، والتي لا يخرقها الله تعالى إلا لصادق، فإنكار المعجزات كفر بالأنبياء.

- **قولهم في معنى الآية: (وانشق القمر)**

جعل الانشقاق بمعنى طلع وانتشر، كقول العرب: شق الصبح إذا طلع وانتشر، ويكون معنى الآية حينئذ: ظهر الحق وانتشر كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر.

- لا يجوز تأويل كلمات القرآن عن معاناها الأصلي دون قرينة، والمعنى الأصلي لانشقاق القمر، وهو انفلاقه نصفين حقيقة قد ثبت بالسنة الصحيحة وتواتر الأخبار وإجماع الأمة كما أسلفنا، لذا من كل ما سبق يبقى تفسير (وانشق القمر) على معناها الأصلي كما جاء دون تأويل.
- إجماع أهل التفسير وأربابه على أن المقصود بانشقاق القمر هو انفلاقه، وشقه، كما ذكر ذلك مجاهد والطبري والبغوي وابن الجوزي والقرطبي، ومن المعاصرين عبد الرحمان بن ناصر السعدي وغيرهم.